الفصل الثالث عشر

دور العمالة الإنجليزية فى الهند

تعتبر الهند من أكثر البلاد الإسلامية تعرضاً لغزو الحضارة الغربية لها ، ومن أكثر البلاد الإسلامية واجهت فيه أوروبا الإسلام مواجهة شرسة ، ولم تخرج بريطانيا من الهند إلا بعد أن أفسدت كل شئ فيه : إما مباشرة ، وإما عن طريق عملائها الذين جنَّدتهم لهذه الأهداف .

دخلت بريطانيا الهند عام ١٨٥٧ لا على أنها دولة مستعمِرة فحسب . بل على أنها هى الدولة الحاكمة للهند ، وكانت الهند قبل دخول الإنجليز فيها دولة إسلامية دستورها الإسلام فى كل صغيرة وكبيرة .

● وقف العمل بالشريعة الإسلامية :

كان أول عمل قام به الإنجليز فى الهند بعد استيلائهم عليها هو وقف العمل بشريعة الإسلام ، وإحلال القانون الإنجليزى محلها ، ويحسن أن نشير فى إيجاز لخطوات العمل الإنجليزى فى الهند فى الآتى :

١ - وقف العمل بالإسلام وإحلال القانون الإنجليزى محله .

٢ - اضطهاد المسلمين كلما واتت الفرصة .

٣ - إلغاء التعليم الإسلامى وإحلال التعليم العلمانى الغربى محله .

٤ - إحياء الحضارة الهندوكية [١] القديمة و « تمويت » حضارة الإسلام .

٥ - العمل على تربية جيل زاهد فى الإسلام مفتون بحضارة الغرب .

٦ - تجنيد عملاء من المسلمين لتقويض قِيَم الإسلام ومبادئه .

نفذّت بريطانيا هذه الخطة فى الهند بكل دقة وإخلاص ، فقد دأب الإنجليز على مضايقة المسلمين فى عقيدتهم الصحيحة وسلوكهم الحميد . وفى نفس الوقت منحوا « الهندوكيين » الحرية الكاملة فى ممارسة عقائدهم الفاسدة ، وسلوكهم المنحرف . أى أن الإنجليز : حاربوا الحق ، وسالموا الباطل ، بل ناصروه على الحق وأخلصوا له (؟!) .

ثم سعوا جاهدين لإحياء حضارة الهند القديمة (ما قبل الإسلام) ليخلقوا تمايزاً طائفياً بين المسلمين والهندوكيين ، وهذه الطائفية وُظِّفت لتمزيق وحدة الهند ، واستعار العداء الطائفى بين المسلمين والهنادكة (؟!) .

ثم أخذوا فى إنشاء التعليم العلمانى الغربى ، وأولوا هذا النوع من التعليم عناية فائقة ليناوىء التعليم الإسلامى الذى ظل فى أضيق الحدود ، ولما أحجم بعض المسلمين عن إلحاق أبنائهم بالتعليم العلمانى فى الهند لجأ الإنجليز إلى تضييق الخناق على خريجى المدارس الإسلامية فحرموهم من التوظف وقصروا التوظف على خريجى التعليم العلمانى ، وترتب على هذا أن وجد المسلمون أنفسهم فى عزلة ، وأنهم تسببوا لأبنائهم فى الحرمان من العمل فاضطر فريق منهم لقبول هذا الوضع وسمح بدخول الأبناء مدارس التعليم العلمانى تحت وطأة الظروف ، وظل فريق آخر منهم متمسكاً برأيه عازفاً عن هذا التعليم مهما كانت الإضرار التى تنجم عن مقاطعته ، فالدين وسلامة العقيدة لا يمكن التساهل فيها بتعرضها للخطر .

* *

(١) معنى كلمة « هندوكى » : الهندى غير المسلم ، أما « هندى » فتطلق على المسلم الهندى وغير المسلم .

● بروز العمالة :

ولم يطل التفكير بالإنجليز أمام هذا التحدى ، فسرعان ما اهتدوا إلى تجنيد عميل من المسلمين (اسماً لا فعلاً) لكى يقوم بتطويع مسلمى الهند لقبول الحضارة الغربية المعادية للإسلام . وإذا قام بهذا الدور مسلم يكون أجدى وأنفع وأقدر على تحقيق التحول المأمول ، ذلك العميل الخطير هو :

● أحمد خان :

لقد لعب « أحمد خان » هذا دوراً خطيراً ضد الإسلام والمسلمين لا فى الهند وحدها ، بل إن فساده وإفساده سرى إلى بلاد أخرى خارج نطاق الهند . فقد نجح السيد أحمد خان فى تحطيم الموانع لدى المسلمين فأقبلوا لا على التعليم الأوروبى فحسب ، بل أقبلوا على الحضارة الغربية بما فيها من خير وشر إلا مَن عصم اللّه . ولم يقف دورأحمد خان عند هذا الحد بل تطاول على الإسلام نفسه ، وأفسد فى مجال العقيدة أيما إفساد . وبفضل جهود هذا العميل أنشأ الإنجليز كلية تحوّلت إلى جامعة ، وهى جامعة « عليكرة » وزيادة فى التضليل أطلق عليها الإنجليز اسم « الجامعة الإنجليزية - المحمدية » وليت شِعْرى ما الذى يربط بين الإنجليز وبين رسول الإسلام ﷺ ؟!

فتحت هذه الجامعة أبوابها أمام أبناء الأغنياء من المسلمين ، وقد تمكن الإنجليز من تربيتهم تربية غير إسلامية ، فقد زهدوا فى الإسلام وافتتنوا بالحضارة الغربية إلى أبعد مدى ، أما أبناء فقراء المسلمين فحيل بينهم وبين هذا النوع من التعليم الذى كان يُمكّن خريجيه من شغل أرقى المناصب فى الدولة ، والحظوة بكل تقدير واحترام . وظل خريجو المدارس الإسلامية محصورين فى العمل أئمة مساجد أو دعاة . وحرمت الدعوة من العناصر النشطة الزكية فى نفس الوقت . على أن الوظائف الدينية - بتحريض من الإنجليز - لم تكن تحظى

بأدنى احترام عند الجمهور ؟! وقد كتب الشيخ جمال الدين الأفغانى وصفاً جامعاً لحركة « أحمد خان » نضعه بين يدى القارىء الكريم :

● حقيقة الحركة :

« نزعوا - يعنى الإنجليز - إلى تدبير آخر فى إزالة الدين الإسلامى من أرض الهند ، أو إضعافه ؛ لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك المُلْك المنهوب والحق المسلوب ، فاتفق أن رجلاً اسمه أحمد خان بهادر [١] كان يحوم حول الإنجليز لينال فائدة من لديهم ، فعرض نفسه عليهم ، وخطا بعض خطوات لخلع دينه ، والتدين بالمذهب الإنجليزى ، وبدأ الأمر بكتابة كتاب يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرَّفين ولا مبدَّلين لينال بذلك الزلفى عندهم . ثم راجع نفسه ، فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول : إنى نصرانى ؟! وأن هذا العمل الحقير [٢] لا يؤتى عليه أجراً جزيلاً ، خصوصاً وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة ، وما أمكنهم أن يحوِّلوا من المسلمين عن الدين إلا أشخاصاً معدودين ، فأخذ طريقاً آخر فى خدمة حكَّامه الإنجليز بتفريق كلمة المسلمين ، وتبديد شملهم ، فظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين ، ونادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء ، وليس لهذا الكون إله حكيم .. وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين ، لا يعتقدون فى الإلٰه الذى جاءت به الكتب السماوية (؟!) ولقَّب نفسه بـ « الطبيعى » فراق لحكَّام الإنجليز مشربه ، ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين فأخذوا فى تعزيزه وتكريمه ، وساعدوه على بناء مدرسة فى « عليكرة » وسموها مدرسة المحمديين ، لتكون فخاً يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل : أحمد خان بهادر » [٣] .

*

(١) « بهادر » لقب هندى يفيد التعظيم باللغة الهندية

(٢) أى الكتاب الذى ألفه فى مدح التوراة والإنجيل .

(٣) الفكر الإسلامى ص ٤١

● سقطات أخرى :

ليس هذا هو كل ما جناه أحمد خان ، فقد أصدر تفسيراً محرِّفاً للقرآن . ونادى بما سمى « إنسانية الأديان » ليذوب الإسلام فى الأديان الأخرى ، وقلّل من قيمة الجهاد ونادى بأن يتعاون المسلمون مع الغرب ، والأخذ بحضارته ، وأنشأ جريدة لنشر فكره ، واختار لها اسماً خادعاً « تهذيب الأخلاق » ولا يُنشر فيها إلا ما فيه إفساد عقائد المسلمين ، كما دأب على إثارة الفتنة ضد المسلمين .

* *

● الدهريون :

وأسهمت أباطيل أحمد خان فى قيام جماعة « الدهريين » فى الهند وهى جماعة مخرِّبة للعقيدة والأخلاق ، فكانوا يُروِّجون للإلحاد وترك الإيمان باللّه ، فاحتضنهم الإنجليز ، وحاربوا بهم الإسلام والمسلمين ، حتى لا يقوم المسلمون باسترداد « هندهم » من الإنجليز ، وقد ساعدت الجامعة التى أنشأها أحمد خان بمساعدة الإنجليز على تخريج شباب فُرِّغت قلوبهم من الإيمان ، وهذا بدوره ساعد على انتشار هذه الأفكار الملحدة التى نادى بها الدهريون كما قامت سلطات الإنجليز بكل عمل من شأنه أن يقوى من روح المقاومة والتصدى لهذه الحركات الهدّامة . فألغت أوقاف المساجد والمدارس الإسلامية . ونفت الدعاة والعلماء إلى جزيرة « أندرومان » كما حرمت مسلمى الهند من الوظائف المؤثرة فى أجهزة الدولة .

* *

● القاديانية :

كانت حركة أحمد خان ضد الإسلام والمسلمين فى الهند بداية وليست نهاية . وقد جنى الإنجليز منها ثماراً طيبة بدون ثمن يُذكر . بَيْدَ أن الذى جنوه لم يكن مقنعاً لهم . فهم يعلمون أن الإسلام كثيراً ما يتجاوز النكسات ويتغلب على

العراقيل ، وضربة واحدة كالتى صدرت عن حركة أحمد خان لا تعجز الإسلام . فهو وإن حوصر خارج النفوس والقلوب فإنه ما يزال قوة هائلة رابضة فى السرائر المؤمنة . فلا بد إذن من تتابع الضربات لإبطال مفعوله ولو إلى حين . وهذا لا يكلّف الإنجليز سوى حفنات من المال ، والمال عندهم وفير . وإلا تجنيد ضعاف الإيمان ومحبى الشهرة ، وهذه بضاعة وافرة مطروحة فى أسواق النفاق فى كل زمان ومكان . إذن فما الذى يحول بين الإنجليز وبين أن يجندوا أخلافاً لأحمد خان والدهريين من بعده ؟! وعناصر التركيبة من الخونة والمال جاهزة ؟!

كانت حركة أحمد خان قنبلة زمنية موقوتة تفجّرت ثم خمدت وكذلك حركة الدهريين من بعده . بل كانتا تقفان عند حدود الفكر المجرّد ، والحال تقتضى ضربات أخرى موجهة للإسلام والمسلمين فى الصميم . القنابل المؤقتة لم تعد تقنع الإنجليز . بل هم فى حاجة إلى « بركان » يتفجر ثم لا يتوقف . إنهم فى حاجة إلى حركة عميقة تقوم على العقيدة لا على الفكر المشوش . إلى سرطان يسرى فى جسم الأمة فيغتالها فى بطء . وقد تحقق هذا الأمل للإنجليز فى حركة « القاديانية » الماكرة الخبيثة .

ففى عام ١٩٠٠ سُجِّلت « القاديانية » رسمياً باعتبارها مذهباً إسلامياً له عقيدة وفلسفة إسلامية (؟!) وقد التف حوله أتباع فى كل من البنجاب وأفغانستان وإيران ، وكان زعيمه الروحى ميرزا غلام أحمد القاديانى (قاديان بلدة بالبنجاب) وقد مدَّ له الإنجليز يد العون وساعدوه على ترويج أفكاره الهدّامة . وخصّصوا له مجلة تصدر شهرياً لتكون معواناً له على نشر أباطيله بين المسلمين ، وهى « مجلة الأديان » الإنجليزية ، وإليك موجزاً لأباطيل القاديانية التى كانت تروج لها بمساعدة الإنجليز :

١ - ادعاء أن روحى محمد وعيسى عليهما السلام قد حلّت فى ميرزا غلام أحمد فصار نبياً بعد أن كان المهدى المنتظر ؟!

٢ - ادعاء أن عيسى عليه السلام هاجر بعد موته (الظاهرى) إلى كشمير لينشر فيها الإنجيل ، وأنه مات حقيقة بعد عمر بلغ ١٢٠ عاماً ؟!

٣ - ادعاء أن الجهاد فى الإسلام ليس من معانيه القتال وشن الحرب ضد غير المسلمين ، بل معناه الوحيد أنه وسيلة سلمية للإقناع ؟!

٤ - ادعاء أن الجهاد الذى كان فى صدر الإسلام (عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة) جهاد باطل ؟!

٥ - الدعوة إلى وقف القتال ضد غير المسلمين - ومنهم الإنجليز طبعاً - وإلى وقف العمل بالآيات التى تحث على الجهاد فى القرآن الكريم ؟!

٦ - الدعوة إلى وقف العمل بالآيات التى تفرِّق بين المسلمين وغير المسلمين ، وإقرار المساواة المطلقة من كل قيد بينهم ؟!

فمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (١) يجب وقف العمل بها هى ونظائرها فى القرآن ؛ لأنها تدعو المسلمين لقتال غير المسلمين ؟!

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) يجب وقف العمل بها هى ونظائرها فى القرآن الكريم ، لأنها تفرِّق بين المسلمين وغير المسلمين ؟!

* *

---

(١) التوبة : ١٢ (٢) المائدة : ٢١

● الهدف :

كان المقصود من هذه الإجراءات القاديانية هو خدمة الإنجليز وأضرابهم من دول الاستعمار ، لذلك كان التركيز على هذه المحاور الثلاثة :

* إفساد عقائد المسلمين .

* المساواة المطلقة بين المسلمين وغيرهم .

* تنكيس ألوية الجهاد حتى لا يجد أعداء الإسلام أية مقاومة فى بلاد الإسلام التى يحتلونها كالهند ومصر وغيرهما .

وغير خافٍ أن الدعوة إلى وقف الجهاد نودى بها فى وقت كان الجهاد واجباً مقدَّساً على المسلمين لاسترداد بلادهم من أيدى أعدائهم . لذلك اهتم الاستعمار بمثل هذه الدعوات التى تحبب للمسلمين الذل والاستكانة مهما نزل بهم من خسف وضيم ؟!

* *

● الركون المعاصر لهذه الدعوة :

ومما يؤسف له غاية الأسف أن كثيراً من قادة المسلمين الآن يعملون بما دعت إليه القاديانية من ترك الجهاد لعدوهم . وأصبح الركون إلى حل المشكلات عن الطرق السلمية والديبلوماسية هو المعمول به الآن . وقد رأينا بأعيننا أن الرئيس السادات حين قام بزيارته لتل أبيب تبادل مع مناجم بيجين وريقة تنص على أن حرب ١٩٧٣ هى آخر الحروب بين العرب وإسرائيل . والمؤسف أن إسرائيل لم تلتزم بما فى تلك الوريقة فما تزال تشن الحروب على عرب فلسطين . وأننا نحن وحدنا الذين التزمنا بها وما نزال ؟!

ولا يسعنا أن نقول هنا شيئاً سوى : مدد يا قاديانية مدد ؟!

* *

● وصف جامع للقاديانية :

وصف الداعية الإسلامى الكبير أبو الحسن الندوى حركة القاديانية فى كتابه الموسوم « القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام » فقال : « قد تحقق عملياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، فقد أهم بريطانيا وأزعجها حركة المجاهد الشهير السيد الإمام أحمد بن عرفان ، الشهيد عام ١٨٤٢ ، وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحى ، وكيف التف حوله آلاف المسلمين . وقد عانت منهم الحكومة الإنجليزية فى الهند مصاعب عظيمة ، وكانوا موضع اهتمامها ... واقتنعت أخيراً بأنه لا يؤثر فى المسلمين مثلما يؤثر قيام رجل منهم باسم منصب دينى رفيع ، يجمع حوله المسلمين ويخدم سياسة الإنجليز ، ويؤمِّنهم من جهة المسلمين و « يدفع عنهم » غائلتهم . وفى شخص ميرزا غلام أحمد القادياني وجد الإنجليز وكيلاً لهم ، يعمل بين المسلمين لمصلحتهم ولم يزل يتدرج من المهدوية .. إلى المسيحية .. إلى النبوة حتى تم ما أراد الإنجليز وقام القادياني بدوره وما كُلِّف به خير قيام ، وحماه الإنجليز ، ومكَّنوه من نشر دعوته ، وحفظ القادياني هذه اليد وقد صرَّح فى بعض كتبه : « إنه غَرْسٌ غَرَسَتْهُ الحكومة الإنجليزية » ؟!

قال القادياني : لقد قضيتُ معظم عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية ونُصرتها . وقد أَلَّفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر من الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جُمِعَ بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ومصر ، والشام وكابل ؟! [١] .

ويتابع الندوى الوصف فيقول : « إن القاديانية تنشر فى العالَم الإسلامى الفوضى الفكرية وعدم الثقة بمصادر الإسلام الصحيحة ومراجعه وسَلَفه ،

---

(١) من كتاب « ترياق القلوب » لغلام أحمد ص ١٢

وتقطع صلة هذه الأمة بماضيها ، وبخير أيامها ، وأفضل رجالها ، وتفتح الباب للأدعياء والمتكلفين على مصراعيه ، وتسىء الظن بقوة الإسلام وحيويته ونتاجه ، وتؤيس المسلمين من مستقبلهم » .

بمثل هذه الحركات العميلة بقى الاستعمار الإنجليزى (الفعلى) فى الهند إلى منتصف القرن العشرين ، وبقى الاستعمار الإنجليزى الفكرى والثقافى والحضارى فى الهند إلى الآن . واستطاع أن ينشئ أجيالاً لا تعرف عن الإسلام إلا اسمه . أجيالاً آمنت كل الإيمان بحضارة الغرب . وضعفت صلتهم بالإسلام فإذا تحدثوا عنه تحدثوا حديث الجاهل المفتون . ونضع بين يدى القارىء صورة لتفكير الشباب الذين أفسد عقولهم الإنجليز فى الهند :

« فقرات من مقال لشاب هندى مسلم »

كتب هذا الشاب مقالاً يصف فيه رحلة سياحية قام بها ، وكان فى الرحلة بعض النصارى وغيرهم من الشيوعيين ، قال الشاب : « إن الذين يصحبوننا من المسافرين الصينيين هم مدمنون للخمور ، آكلون للخنزير ، إلى حد أنهم لا يستطيعون العيش بدونه . وهذا هو السر وراء ارتقاء الديانة النصرانية ، فالصينى يعد من العار إتباع نحلته القديمة مع التعليم الجديد ولو أنه عرف الإسلام لما أحجم عن قبوله ، ولكن الآفة فى الإسلام أنه يحرمه من جميع الأطعمة الشهية التى يستمرئها (؟!) .

فهو يصير - إذاً - نصرانياً على الرغم منه ... وإنى لأوثر شخصياً أن نرخِّص للمسلمين الحديثى العهد من أهل أوروبا والصين بعض الترخيص فى أمر لحم الخنزير . وإنى أشك فى كونه حرام قطعياً حتى من نصوص القرآن . بل عندى الأمر لا يعدو أن يكون قد حُرِّم على العرب بسبب خاص (؟!) فأى حَرَج

الآن فى استعماله فى البلاد التى يكون أهلها مصداق الآية : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ .. ﴾ [1] على كل حال هذا هو الحكم الوحيد من أحكام القرآن الذى لم أدرك بعد عِلّة التحريم العام الذى جاء فيه (؟!) .

إذ أن هناك من البُعْد الشاسع بين معدة الإنسان وحوافز الأخلاق ، ما لا ينبغى معه أن يتدخل الدين فى أمور مأكلنا ومشربنا ؟! ولو أنه يتدخل فيها ويقرأ لنا بيان المائدة (Menu) أيضاً . فلماذا لا يعلّمنا الخياطة والحدادة والصرافة (؟!) .

وإنى لأعتقد أن السر فى عدم ارتقاء الإسلام فى العالَم أنه - يعنى الإسلام - يسلب الإنسان جميع حقوقه الإنسانية (؟!) ويتركه جسماً بلا حياة ، أو طفلاً بلا شعور (؟!) فهو يغمض عينيه عن كل ما هو لازم لرقيه فى هذه الدنيا (؟!) ومن الواجب عندى أن ينحصر الدين - الإسلام - فى تلك الحدود التى قد حدَّه فيها النصرانيون » (؟!) .

*

● تركيز الانتباه :

لا أعتقد أن القارىء الكريم فى حاجة إلى شرح لهذا الكلام ، بَيْدَ أن بعض ما فيه يحتاج إلى تركيز الانتباه ، فهذا العبقرى أعجوبة الزمان قد قارن بين المسيحية والإسلام ، ثم اتضح له أن المسيحية أرقى من الإسلام ؟! وأن سبب رقى المسيحية هو إباحتها أكل لحوم الخنازير ، واحتساء الخمور ؟! أما عدم رقى الإسلام - عند هذا العبقرى - فهو أن الإسلام يُحرِّم لحوم الخنازير واحتساء الخمور . هذه واحدة . أما الثانية فلأن الإسلام - عنده - ثقيل الدم يحجر على الإنسان ويحول بينه وبين حقوقه وأسباب رقيه ؟! هكذا علّموه ؟!

وهو - أى العبقرى أعجوبة الدهر - يسخر من الإسلام لثقل دمه حين يتدخل فى شئون المعدة ؟! ثم يتمادى فى السخرية ويطالب الإسلام بأن يضع بين يديه

---

(١) البقرة : ١٧٣ ، والأنعام : ١٤٥ ، والنحل : ١١٥

بياناً ليضعه يومياً فوق « ترابيزة السفرة » ؟! وبأن يعلمه القرآن الخياطة والحدادة والصرافة ؟! هكذا علّموه ؟!

ومن حرص هذا العبقرى اعجوبة الدهر ، على الإسلام يدعو إلى الترخيص بأكل لحوم الخنازير ، والخمور لمسلمى أوروبا وهو يرى أن تحريم الخنازير كان خاصاً بالعرب وحدهم فى عصر النبوة لسبب خاص ، ولكنه لا يعرفه ؟! ومع نزول الآيات القاطعة بتحريم لحم الخنزير يرى هذا المفتون أنه لم يجد فى القرآن نصاً واحداً يُحرِّم لحوم الخنازير ؟! هكذا علّموه ؟! وفى النهاية يدعو هذا العبقرى « البهلول » إلى عزل الإسلام عن الحياة كما فعلت أوروبا النصرانية ؟! هكذا علّموه ؟!

* *

● فقرات أخرى :

وكتب أعجوبة الزمان عن مشاهداته فى شنغهاى فقال : « وإذا رأى المرء هذا الخلق الذين لا يُحصون عدداً من الناس ينعمون برغد العيش ، فلا يكاد قلبه يشهد بأن هؤلاء سيكونون حطب جهنم بعد مدة من الزمان (؟!) كأن هذه هى الغاية الوحيدة عند اللّه من خلقه إياهم (؟!) وإن كان هؤلاء كلهم - إلا القليل - منكرين ووثنيين ، فهل ذنبهم الوحيد الذى يستحقون لأجله أن يُخلّدوا فى جهنم هو أنهم عمّروا أرض اللّه ؟! لماذا يا ترى ؟ ولأى ذنب » ؟!

*

● تعقيب :

إن أثر الحضارة الغربية هو السمة البارزة فى تفكير هذا الكاتب فتراه يتساءل هل من أجل كفر أهل شنغهاى وإلحادهم سيكونون فى الآخرة حطب جهنم ؟ الكفر وهو أشنع المعاصى لا يكفى عند هذا المفتون لإدخال صاحبه النار ؟ وإذا كان الكفر لا يؤهل صاحبه لدخول النار فحرى بالمعاصى الأخرى أن لا تُدخل صاحبها النار ، إذن فلماذا خلق اللّه النار يا ترى ؟!

الكافر إذا عمَّر الأرض فلا جريمة فى كفره ؟! هكذا يرى هذا المفتون ؛ لأنه لم يتعلم إلا هذا ؟! والمؤسف حقاً أن هذا الكاتب وأمثاله يُعبِّر تعبيراً صادقاً عما فى نفسه . وهذه هى المصيبة ؛ لأنهم هكذا علَّموه ؟!

* *

● فقرة ثالثة :

زار الكاتب فى رحلته السياحية ميناء « كوبى » باليابان ، ثم كتب هذه الفقرة عن مشاهداته فيها فقال : « بقيتُ أمشى فى شوارع كوبى مدة ساعتين ، فلم يقع نظرى على متسول واحد ، ولا وجدتُ رجلاً سئ الحال فى خِرَقٍ بالية ، هذا هو مستوى رقى الأمة التى لا تعرف الدين ، ولا الإيمان باللّه » .

*

● تعقيب ثان :

من الوسائل التى واجهت بها أوروبا الإسلام فى العصر الحديث أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين . وأن الدين - عادة - عقيدة بدائية تجاوزتها المجتمعات الراقية إلى الإيمان بالعلم الحديث ولم تعد تقيم وزناً للدين كان أو لم يكن ؟!

وكاتب المقال الذى نتحدث عنه من خريجى الجامعات الأمريكية ، وأمريكا الآن تقوم بدور بريطانيا من قبل فى محاربة الإسلام ، وما قاله هذا « الشاب الهندى المسلم » صورة طبق الأصل لدعاوى المستشرقين والمبشِّرين من أمريكا وغير أمريكا . فهو لا يرى حاجة إلى التمسك بالدين ، وقد ساعدته مظاهر الحضارة الغربية على هذا الاعتقاد . وبلغ الفتى ذروة الضلال حين أعجب كل الإعجاب بمظاهر الحياة فى « كوبى » التى لا يؤمن أهلها باللّه ، ولا صلة لهم بالدين . فالسعادة قد تتحقق مع الكفر والإلحاد ؟!

وهذا المسكين معذور معذور ؛ لأنهم هكذا علَّموه ؟!

* *

● دعوة إلى تحطيم الإسلام :

وينتهى الكاتب فى مقاله فيدعو المسلمين إلى تحطيم الإسلام ليأخذوا بأسباب الرقى والرفعة ، ويلحقوا بأمم الغرب .. ويقلّدوها فى كفرها وإلحادها بوضع إسلام جديد يساير ركب الحياة . وننقل كلام الكاتب بدون تصرف ليرى القارىء بنفسه إلى أى مدى دمرت الحضارة الغربية الشباب المسلم الذى تلقى العلم فى جامعاتها :

● كلام الكاتب :

« اعلموا أن الإحسان هو أصل الدين ، ولا يحتاج الإحسان إلى لغة أو فن . وإنما غايته الطبيعية أننا مسئولون عن أعمالنا فى هذه الحياة ، وسنكون كذلك فى الحياة الأخرى ، وهذا هو الدين الإسلامى فى حقيقة الأمر ، وأما ما عدا ذلك مما سميتموه الدين فهو جذام قد ابتليتم به أنفسكم أو خلط قد وقعت فيه أذهانكم . فإذا ما حصرتم دينكم فى هذين الأمرين - أى الإحسان والشعور بالمسئولية - وحطمتم كل ما ترسفون فيه الآن من قيود الشريعة وأغلالها فإنكم أيضاً ستركبون سنام الرقى مع الأمم الأخرى التى إن لم تضع عنها الدنيا فى هذه الحياة فلن يضيع عنها الملكوت السماوى أيضاً ؟!

إنكم لستم فى أنفسكم أمة كهذه الأمم ، بل أنتم مصلحون للأمم ، ولكن لا تجعلوا الناس - باللّه عليكم - يقولون إن الأمة الفلانية - يعنى أى أمة من أمم الغرب - على قمة المجد والرقى من حيث المجموع ، ولكن المسلمين فى حال بؤس وشقاء . وإن السبب فى شقائهم هذا هو دينهم العجيب » [1] .

*

(١) الإسلام والحضارة الغربية : لأبى الأعلى المودودى ص ٢٩ - ٣٢

● تعقيب ثالث :

هذا هو أحد النماذج التى تكشف عن تفكير بعض الشباب المسلم الذى مسخ عقله خصوم الإسلام ، وأوصلوه إلى هذه الدرجة من الضلال والإضلال . وأعود فأذكّر القارىء بأن الكاتب مخلص كل الإخلاص فيما يقول . وهذه هى الكارثة ؛ لأنه بدعوته هذه ، وفكره هذا ، يحاول صادقاً أن يخدم الإسلام ؟ ولكن بِمَ يخدمه يا ترى ؟ يخدمه بهدمه وتدميره على النحو الذى تقدّم . فسعادة المسلمين - عنده وعند أمثاله - وكثير ما هم - طريقها الوحيد هو تحطيم الإسلام ؟! وقد بلغ به الجهل مداه ، ترى ذلك واضحاً فى أنه دعا إلى بقاء الإحسان والشعور بالمسئولية . وكيف يكون لهما وجود فى حياة المسلم إذا حطمنا قيود الشريعة على حد قوله ؟ على أى منهج نحسن ؟ وعلى أى منهج نستعد ونكون أهلاً للشعور بالمسئولية إذا لم تكن بين أيدينا الشريعة فنحرِّم ما حرَّمته ونُحلِّل ما حللّته ؟!

لو كان الكاتب عالماً بأنه عميل لقلنا : سيأتى يوم يقلع فيه عن عمالته ؟ ولكنه عميل مسحور قد سكر بصره فظن أنه على صواب ؟ ومَن كان هذا شأنه فمن الصعب أن يُرجى منه خير ؛ ولا أن يبصر طريق الحق ، أو يراجع نفسه فيما هو فيه من فتنة وضلال ؛ لأنهم هكذا حطّموه ؟! إن نجاح القُوَى المعادية للإسلام قد بلغ المدى فى هذا الشاب وأمثاله . ولك أن تتصور حجم الخسارة التى يمنى بها المسلمون والإسلام إذا آلت مقاليد الأمور إلى مثل هذا الشاب فى البلاد الإسلامية ؟! إن أقرب صورة لهذا التصور هى صورة « كمال أتاتورك » فى تركيا ، وهى ترحيل الإسلام عن البلاد ؟

* *

● ألعوبة ساحرة :

وينبغى أن نشير هنا إلى ألعوبة ساحرة أذاعها خصوم الإسلام فى بلاد المسلمين وهى ألعوبة « تطوير الإسلام وإعادة تفسيره ليساير العصر » ،

ومحاولات هذا الشاب صورة من تلك الصور التى تمارس الآن لتطوير الإسلام . وقد جنّدت لها أوروبا كماً هائلاً من « العملاء الأذكياء البُلْه » فى كل بلد إسلامى من حملة الأقلام وأساتذة الجامعات والإعلاميين والفنانين بل وبعض القادة والزعماء مسموعى الكلمة . وهؤلاء يمثلون الاستعمار الدائم فى البلاد الإسلامية بعد رحيل الاستعمار . ومع هذا فلا معنى لليأس فإن للباطل جولة . ولكنه - بإذن اللّه - زاهق أمام الحق .

* * *

obeikandl.com